085
فضل الصّـــحابة

كتبها: عمر علي
ترجمها: د . فهيم بوخطوة

التاريخ: 24/ شوّال /1429 هـ
الموافق: 24 أكتوبر 2008م

أمّا بعد: ايها الأخوة المسلمون موضوع حديثنا اليوم في هذه الجمعة المباركة عن فضل الصحابة رضوان الله عليهم ومكانتهم, وفضلهم في الإسلام. أيها الأخوة المسلمون لم يعد أمرا خفيا ما يتعرض له الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجوم ماكر منظم من قبل البعض من مرضى القلوب ومن أصحاب الأهواء والبدع. ولا يخفى على عاقل أن الجرأة على سب الصحابة و إساءة الظن بهم و الطعن فيهم وفي عدالتهم خطيرة لأنها فرية هدامة على أطهر جيل عرفته الأرض بعد رسل الله. فهذا الجيل (جيل الصحابة) من الواجب على كل مسلم أن يجله وأن يقدره فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم رواد البشرية في طريق الخير و الذين على أيديهم انتقل هذا الدين إلينا, وبواسطتهم أخرجنا الله من الظلمات إلى النور. يقول ابو جعفر الطحاوي في عقيدته " ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم . و نبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم . ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر و نفاق وطغيان "

عبادَ الله ، أجمع المسلمون على أنّ الصحابة رأسُ الأولياء وصفوة الأتقياء ، قدوةُ المؤمنين وأسوة المسلمين وخير عباد الله بعدَ الأنبياء والمرسلين ، جمَعوا بين العلم بما جاء به رسول اللهﷺ وبين الجهادِ بين يديه، شرّفهم الله بمشاهدة خاتَم أنبيائه وصُحبته في السّراء والضّرّاء وبذلِهم أنفسَهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله، حتّى صاروا خيرةَ الخِيَرة وأفضلَ القرون بشهادة المعصوم ﷺ. هم خيرُ الأمَم سابقِهم ولاحقهم، أولِّهم وآخرهم. هم الذين أقاموا أعمدَة الإسلام وشادوا قصورَ الدّين، قطعوا حبائلَ الشّرك، أوصلوا دينَ الإسلام إلى أطراف المعمورة، فاتّسعت رقعة الإسلام، وطبَّقت الأرض شرائعَ الإيمان، فهم أدقّ النّاس فهمًا وأغزرُهم علمًا وأصدقهم إيمانًا وأحسنهم عملاً. كيف لا؟! وقد تربّوا على يدَي النبي ﷺونهلوا من ماء معينه الصّافي وشاهدوا التنزيل، روى

أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: (إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلبَ محمّد ﷺخيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمّد ﷺفوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه، يقاتلون على دينه)[1].

والصحابي مَنْ صحبَ النبيَّ ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

وقد وردت الآياتُ الصريحة والأحاديث الصّحيحة في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، من ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلأوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلأنْصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلأنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:100]، وقال عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:18، 19]، وفيهم يقول رسول الله ﷺ: ((لا يدخل النارَ أحد ممّن بايع تحت الشّجرة))[2]، وقال عزّ وجلّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110]، وقال عزّ وجلّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءوا ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:8، 9]، وقال عزّ وجلّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:29]، روى البخاريّ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((خير أمّتي قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم)) قال عمران: فلا أدري أذَكرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا[3]. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإنّ أحدَكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفَه))[4].

إنّ الخيرَ كلّ الخير في ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، هم من حفِظ الله بهم كتابَه أمينًا عن أمين، حتّى أدّوا أمانةَ ربّهم. و يقول ابن حجر في الإصابة " اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول و لم يخالف في ذلك الا شواذ المبتدعة".

نال الصحابة رضي الله عنهم شرفَ لقاء النبيّ ﷺ، فكان لهم النصيب الأوفى من محبّته وتعظيمه، سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبُّكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان ـــ والله ـــ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمّهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

سأل أبو سفيان بن حرب ـــ وهو على الشّرك حينذاك ـــ زيدَ بن الدّثِنّة رضي الله عنه حينَما أخرجه أهل مكّة من الحرم ليقتلوه وقد كان أسيرًا عندهم: أنشدك بالله يا زيد، أتحبُّ أنّ محمّدًا الآن عندنا مكانَك نضرب عنقَه وأنّك في أهلك؟ قال: والله، ما أحبّ أن محمّدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنّي جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيتُ مِن النّاس أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمّد محمّدًا[6].

حكّم الصحابة رضي الله عنهم رسولَ الله ﷺفي أنفسهم وأموالهم فقالوا: هذه أموالنا بين يدَيك فاحكُم فيها بما شئت، هذه نفوسنا بين يديك لو استعرضتَ بنا البحرَ لخضناه نقاتِل بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئِلت أن أصفَه ما أطقتُ، لأنّي لم أكن أملأ عيني منه[7].

نحن نحبّ أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نفرّط في حبّ أحد منهم، ولا نتبرّأ من أحدٍ منهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، ونشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنّة والرضوان والتّوبة والرحمة من الله، ويجب أن يستقرَّ علمك وتوقِن بقلبك أنّ رجلاً رأى النبيّ ﷺوشاهده وآمن به واتّبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممّن [لم] يرَه ولم يشاهده، ثمّ التّرحّم على جميع أصحاب رسول الله ﷺصغيرهم وكبيرهم أوّلِهم وآخرهم وذكر محاسِنهم ونشر فضائلهم والاقتداء بهديِهم والاقتفاء لآثارهم، نكفّ عمّا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهدَ معه، وسبقوا النّاس بالفضل،

غفر الله لهم، وأمر بالاستغفار لهم والتقرّب إليهم وبمحبّتهم، فرضَ ذلك على لسان نبيّه ﷺ، فلا يتتبّع هفواتِ أصحابِ رسول الله ﷺوزللَهم إلاّ مفتون القلبِ في دينه.

إنّ هذه الآثار المرويّة في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيدَ فيه ونقص فغيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إمّا مجتهدون مصيبون، وإمّا مجتهدون مخطِئون، ثمّ إنّ القدر الذي يُنكَر من فعلِ بعضِهم قليل ونزر مغفور في جنب فضائلِ القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهادِ في سبيله والهجرةِ والنُّصرة والعلم النافع والعمل الصالح.

لا يُسأل عن عدالة أحدٍ من الصّحابة، بل ذلك أمرٌ مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدّلين بنصوص الكتاب والسنّة وإجماع من يُعتَدُّ به [في] الإجماع [مِن] الأمّة، ومِن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: ((آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار)) أخرجه البخاري[8]، وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد رفعه: ((لا يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر)) أخرجه مسلم[9]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدَ الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ الصابرين، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبده ورسوله إمام المتّقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله.

إخوةَ الإسلام، أفضلُ الصّحابة الخلفاءُ الأربعة، ثمّ بقيّة العشرة المبشّرين بالجنة، قال ﷺ: ((خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر ثمّ عمر))[1]، وقال ﷺ: ((اقتَدوا باللّذَين من بعدي: أبي بكر وعمر))[2]، وفي صحيح مسلم أنّ أصحاب النبيّ ﷺكانوا في سفر فقال ﷺ: ((إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا))[3]، وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفيّة أنّه قال لأبيه عليّ بن أبي طالب

رضي الله عنه: يا أبتِ، مَن خير النّاس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أوَما تعلم يا بنيِّ؟! قلت: لا، قال: أبو بكر[4].

أنزل الله في فضائلِ أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن، قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [النور:22]، لا خلافَ أنّ ذلك في أبي بكر رضي الله عنه، فنعته بالفضلِ رضوان الله عليه، وقال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:40]، لا خلاف أيضًا أنّ ذلك في أبي بكر رضي الله عنه، شهِد له ربّ العالمين بالصّحبة، وبشّره بالسّكينة، وحلاّه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يكون أفضل ثانِي اثنين الله ثالثهما؟!، وقال ﷺ: ((ما نفعني مالٌ قطّ ما نفعني مال أبي بكر))، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: هل أنا ومالي إلاّ لك يا رسول الله؟![5].

وفي عمر رضي الله عنه يقول النبيّ ﷺكما في صحيح البخاري: ((ما لقيَك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غيرَ فجِّك))[6]، ويقول ﷺ: ((قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمّتي منهم أحدٌ فإنّ عمرَ بن الخطاب منهم)) أخرجه مسلم[7]. ومعنى محدَّثون أي: ملهَمون. وعمر رضي الله عنهم مُلهَم، قد جاء القرآن بموافقته، فقد نصح رسولَ الله ﷺأن يحجب نساءَه، وقال: يا رسول الله، لو اتّخذتَ من مقام إبراهيم مصلًّى، وقال له في شأن الأسرى، فأنزل الله القرآنَ بموافقة عمر الملهَم. وهكذا أيضًا فتح الله الفتوحات على يدِ عمر. وعن جابر قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إنّ ناسًا يتناولون أصحابَ رسول الله ﷺحتّى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجَبون من هذا؟! انقطع عنهم العملُ، فأحبَّ الله أن لا ينقطعَ عنهم الأجر[8].

أمّا عثمان بنُ عفّان فقد جاء إلى النبيّ ﷺبألف دينار في ثوبه ليجهّز النبيّ ﷺجيشَ العسرة، قال: فصبّح في حجر النبيّ ﷺ، فجعل النبيّ ﷺيقلّبها بيده ويقول: ((ما ضرّ ابنَ عفان ما عمل بعد اليوم)) يردّدها مرارًا[9].

وفي عليّ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺفي غزوة تبوك: ((لأعطينّ الراية غدًا رجلاً يفتَح الله على يدَيه، يحبّ اللهَ ورسوله، ويحبّه الله ورسولُه))، فبات الناس ليلتَهم أيّهم يُعطى، فغدوا كلّهم

يرجوه، فقال: ((أين علي؟)) فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجَع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتّى يكونوا مثلَنا، فقال: ((انفُذ على رسلك حتّى تنزل بساحتِهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم))[10].

إخوةَ الإسلام، الصحابة كلُّهم من أهل الجنّة، قال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:10].

ألا وصلّوا ـــ عبادَ الله ـــ على رسول الهدى، فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56].

اللهمّ صلّ وسلّم على عبدك ورسولك محمّد، وارض اللهمّ عن الخلفاء الأربعة الراشدين...